الموقع الرسمي لـ:
الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

فضائل
شهر الله المحرم

تأليف
أ.د/ موسى إسماعيل

فضائل

شهر الله المحرم

تأليف
أ.د/ مُوسَىٰ إِسْمَاعِيلَ

جميع الحقوق محفوظة ©

[للمؤلف والموقع الرسمي للأستاذ الدكتور موسى إسماعيل]
[1447هـ/ 2025م]

بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل

شهر الله المحرّم

تأليف
أ.د/ مُوسَىٰ إِسْمَاعِيلَ

تمهيد.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّنا نستقبل في هذه السّنة شهر محرّم في ظروف استثنائية، وبحلوله نودّع سنة فيها الحلو والمرّ، والنّجاح والإخفاق، والانتصار والانتكاس.

يحلُّ علينا شهرُ محرّم باحتشام، في ظل الأوضاع العالمية المتردّية، والاستخفاف بالقيم الإنسانية، وتجاوز القوانين الدولية والعهود والمواثيق الأممية، والدّوس على القانون الدولي لحقوق الإنسان.

يحلُّ علينا وإخواننا في فلسطين يُضْطَهَدُونَ وتُنتهكُ حُرماتُهُمْ، على مرأًى من العالم ومسمع، يُذَبَّحُونَ ويُهجّرون على مشهد من المنظمات

الدولية والهيئات الأممية، من غير تحريك ساكن ضد جرائم المحتل الصهيوني الغاصب.

عدت إلينا يا شهر محرّم وقلوبنا مرعوبة مملوءة بالأسى والألم لمصاب أهل غزّة، ونفوسنا مذعورة مضطربة من هول الدّمار، وطريقنا محفوف بالأشواك، ومستقبلنا مليء بالمخاطر والمؤامرات والمكايد، وصرنا كحال المتنبي لمّا خرج هاربًا من مصر، فأتى عليه عيد الأضحى وهو مُشَرَّد في البيداء طريد في الصحراء، فخاطبه قائلا[1]:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ فَلَيْتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَهَا بِيدُ

وإذا كان القلب مثخنًا بالجراح، فإنّ باب الأمل يبقى مفتوحا، وتباشير الصباح دائما تُطِلُّ في الأفق، وبوادر الفرج أصبحت أمرًا واقعًا، وسيتحقق وعد الله بالنّصر، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝4 بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝5 وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝6 ﴾[2].

وذات يوم وقف الشاعر حافظ إبراهيم في غرة العام الهجري الجديد سنة 1327 قائلا[3]:

---

(1) ديوان المتنبي (ص: 506).

(2) سورة الروم: 4 ـ 6.

(3) ديوان حافظ إبراهيم (ص: 590).

أَطَلَّ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُ هِـلَالٌ رَآهُ الْمُسْـلِمُونَ فَكَبَّـرُوا
تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا عَلَـى الـدَّهْرِ حُسْـنًا أَنَّهَـا تَتَكَـرَّرُ
فَبَشَّـرَهُمْ مِـنْ وَجْهِـهِ وَجَبِينِـهِ وَغُرَّتِـهِ وَالنَّـاظِرِينَ مُبَشِّـرُ
وَأَذْكَـرَهُمْ يَوْمًـا أَغَـرَّ مُحَجَّـلًا بِـهِ تُـوِّجَ التَّـارِيخُ وَالسَّـعْدُ مُسْـفِرُ
وَهَـاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى يَحُـفُّ بِـهِ مِـنْ قُـوَّةِ اللَّهِ عَسْـكَرُ
يُمَاشِـيهِ جِبْرِيـلٌ وَتَسْـعَى وَرَاءَهُ مَلَائِكَـةٌ تَرْعَـى خُطَـاهُ وتَخْفِـرُ
بِيُسْـرَاهُ بُرْهَـانٌ مِـنَ اللَّهِ سَـاطِعٌ هُـدًى وَبِيُمْنَـاهُ الْكِتَـابُ الْمُطَهَّـرُ
فَكَـانَ عَلَـى أَبْـوَابِ مَكَّـةَ رَكْبُـهُ وَفِـي يَثْـرِبَ أَنْـوَارُهُ تَتَفَجَّـرُ
مَضَى الْعَامُ مَيْمُونَ الشُّهُور مُبَارَكًا تُعَـدَّدُ آثَـارٌ لَـهُ وَتُسَـطَّرُ
مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يذْكُرُوا لَهُ هَنَاتٍ فَطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ
وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأُلُوفِ أَجَابَهُمْ مُجِيبٌ لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَايِينَ فَانْظُرُوا
إِذَا قِيسَ إِحْسَـانُ امْـرِئٍ بِإِسَـاءَةٍ فَـأَرْبَى عَلَيْهَـا فَالْإِسَـاءَةُ تُغْفَـرُ
فَفِيـهِ أَفَـاقَ النَّـائِمُونَ وَقَـدْ أَتَـتْ عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْصُرُ
وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ لَـهُ أَثَـرٌ بَـاقٍ وَذِكْـرٌ مُعَطَّـرُ

نسأل الله العلي القدير وهو بالإجابة جدير، أن يجعله عامًا مباركًا ميمونًا سعيدًا، وأن يهيئ للأمة فيه رفعة وعِزًّا ومجدًا، وأن يرزقنا فيه نصرًا مؤزّرًا وفتحًا مبينًا.

فضل المحرّم.

أقسم الله جلّ ثناؤه في محكم تنزيله فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾[1]، وقسمُ الله تعالى بمخلوقاته يكون لبيان شرفها وفضلها، أو للدلالة على عظيم قدرته.

وقد قال قَتَادَةُ في تفسير ﴿وَالْفَجْرِ﴾: «هوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ المُحَرَّمِ، تَتَفَجَّرُ مِنْهُ السَّنَةُ»[2].

كما قال جماعة من المفسّرين: إنّ المراد من ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، أنّها العشر الأوائل من المحرّم التي عاشرها يوم عاشوراء[3].

وكان السلف رضي الله عنهم يعظمون العشر الأول من المحرّم كما يعظّمون العشر الأول من ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان لفضلها وشرفها.

قال أبو عثمان النَّهْدِيُّ: «كَانُوا يُعَظِّمُونَ ثَلَاثَ عَشَرَاتٍ: العَشْرُ الأُوَلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَالْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ»[4].

ومما اقتضته حكمة الله تعالى، أن تُخْتَمَ السّنة بشهر ذي الحجة، وتُستفتح السّنة المستقبَلة بِالمُحَرَّمِ، وهما من الأشهر الحُرُمِ، وجعل الله العشرَ الأُوَلَ منهما من أفضل الأيام، وفي هذا تنبيه على فضلها وشرفها

---

(1) سورة الفجر: 1 ـ 2.

(2) انظر تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (191/10)، وزاد المسير في علم التفسير (437/4).

(3) انظر تفسير الثعلبي (191/10)، والمحرر الوجيز (476/5)، والتبصرة لابن الجوزي (6/2).

(4) رواه محمد بن نصر في كتاب مختصر قيام الليل (ص: 247).

وعظم قدرها، وإشارة إلى المبادرة بالأعمال الصالحة فيها، والحرص على اغتنامها والانتفاع بها.

وفي هذا يقول الحسن البصري: «إِنَّ اللَّهَ افْتَتَحَ السَّنَةَ بِشَهْرٍ حَرَامٍ، وَخَتَمَهَا بِشَهْرٍ حَرَامٍ، فَلَيْسَ شَهْرٌ فِي السَّنَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ المُحَرَّمِ»[1].

ومن الأعمال الصالحات التي تُغتنم في المحرّم الصيام، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ فِي جَوفِ اللَّيلِ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ رَمَضَانَ؟ قَالَ: شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمَ**»[2].

يقول ابن هُبَيْرَةَ: «في هذا الحديث ما يدل على فضيلة شهر المحرّم، من حيث إنّه أول العام فيستقبله بالعبادة، فَيُرْجَى بذلك أن يكون مكفّرا لباقي العام»[3].

ويقول أبو حامد الغزالي: «وفي الخبر «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ»، لأنه ابتداء السنة، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته»[4].

---

(1) انظر لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص: 34).

(2) أخرجه أحمد (344/2 رقم: 8515)، ومسلم (821/2 رقم: 1163)، وأبو داود (323/2 رقم: 2429)، والترمذي (301/2 رقم: 438)، والنسائي (206/3 ـ 207رقم: 1613)، وابن ماجة (554/1 رقم: 1742).

(3) الإفصاح عن معاني الصحاح (215/8).

(4) إحياء علوم الدين (237/1).

وفي نفس المعنى يقول ابن رجب: «فمن صام شهر ذي الحجة سوى الأيام المحرّم صيامها منه، وصام المحرّم، فقد ختم السّنة بالطّاعة وافتتحها بالطّاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلّها طاعة، فإنّ من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة، فهو في حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين»[1].

وأنشد الشاعر[2]:

شَـهْرُ الْحَـرَامِ مُبَـارَكٌ مَيْمُـونٌ وَالصَّوْمُ فِيهِ مُضَاعَفٌ مَسْنُونُ

وَثَـوَابُ صَـائِمِهِ لِوَجْـهِ إِلَهِـهِ فِي الْخُلْدِ عِنْدَ مَلِيكِهِ مَخْزُونُ

وإضافة الشّهر المحرّم إلى الله عزّ وجل لبيان شرفه والتنويه بفضله، لأن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نسب محمدا ﷺ إليه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[3]، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[4]، ونسب ناقة صالح إليه فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[5]، كما قيل في الكعبةِ: بيت الله، وفي المساجد بيوت الله.

قال أبو عبيد: «إنّما نَسَبَهُ إلى الله عز وجل، والشهور كلها له، لتشريفه وتعظيمه، وكلّ معظّم ينسب إليه، وإنما خصّه بقوله: «المُحَرَّمُ» دون باقي المحرّمات، لأنه كان معروفا بذلك الاسم»[6].

(1) انظر لطائف المعارف (ص: 35).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 36).

(3) سورة الفتح: 29.

(4) سورة الجن: 19.

(5) سورة هود: 64.

(6) انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (597/3).

المحرّم من الأشهر الحُرُم.

شهر المحرّم من الأشهر الحرم التي عظّمها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، وخصّهن بالنهي عن الظلم فيهن لعظم حرمتهن، فقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

وقوله ﴿ حُرُمٌ ﴾، جمع حرام، أي: يحرم القتال فيها، كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2].

يقول ابن الجوزي: «وقوله: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾، إنّما سمّاها حُرُمًا لمعنيين:

أحدهما: لتحريم القتال فيها، وكانت العرب تعتقد ذلك.

والثاني: لأنّ تعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها»[3].

وفي الحديث عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»[4].

---

(1) سورة التوبة: 36.

(2) سورة البقرة: 217.

(3) كشف المشكل من حديث الصحيحين (6/2).

(4) **متفق عليه**. رواه البخاري (108/2 رقم: 3197)، ومسلم (1305/3 رقم: 1679).

وكان العرب في جاهليتهم متمسّكين بملّة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأَشْهُرِ الحُرُمِ، ولكنهم كانوا يؤخرون تحريم المحرّم إلى صفر، ويقاتلون في المحرم بسبب أغراضهم الفاسدة، كما أخبر الله جلّ ثناؤه عنهم فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾[1].

وقوله: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾، خصَّ الأشهرَ الحُرُمَ بعدم الظّلم، لزيادة الاعتناء؛ فعن قَتَادَةَ قال: «إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ»[2].

يقول أبو بكر ابن العربي: «واختلف في المراد بالظلم على قولين أيضا:

أحدهما: لا تظلموا فيهن أنفسكم بتحليلهن.

وقيل: بارتكاب الذنوب فيهن، فإن الله إذا عظّم شيئا من جهة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظّمه من جهتين أو من جهات، صارت حرمته متعددة بعدد جهات التّحريم، ويتضاعف العقاب بالعمل السوء فيها، كما ضاعف الثواب بالعمل الصالح فيها، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام والمسجد الحرام، ليس كمن أطاعه في شهر حلال في بلد حلال في

(1) سورة التوبة: 37.

(2) رواه الطبري في التفسير (238/14 رقم: 16698).

بقعة حلال؛ وكذلك العصيان والعذاب مثله في الموضعين والحالين والصفتين، وذلك كله بحكم الله وحكمته»[1].

واختلف أهل العلم أيها أفضل؟ فقيل: المحرّم، وهو المشهور، وقيل: ذو الحجة، وقيل: رجب[2].

وأمّا عن تسمية هذه الأشهر، فقال ابن رجب: «وقيل: إن تحريم ذي القعدة كان في الجاهلية لأجل السير إلى الحج، وسمي ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال، وتحريم المحرّم لرجوع النّاس فيه من الحج إلى بلادهم، وتحريم ذي الحجة لوقوع حجهم فيه، وتحريم رجب كان للاعتمار فيه من البلاد القريبة»[3].

المحرّم أول الأشهر الحرم.

اخْتُلِفَ في تحديد أول أشهر الحرام على أقوال[4]:

قيل: المحرّم أول أشهر الحرام، وهو قول أهل الكوفة، واختاره ابن هشام في كتاب السيرة النبوية[5].

وقيل: أوّلها ذو القعدة، وهو مروي عن أهل المدينة، واختاره ابن العربي[6].

---

(1) أحكام القرآن (499/2).

(2) انظر المجموع للنووي (386/6)، والفواكه الدواني (273/2)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (148/7).

(3) انظر لطائف المعارف (ص: 259).

(4) انظر أحكام القرآن لابن العربي (500/2)، والبحر المحيط في التفسير (415/5)، ولطائف المعارف (ص: 259)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (148/7).

(5) انظر السيرة النبوية لابن هشام (45/1).

(6) انظر أحكام القرآن لابن العربي (500/2).

وقيل: رجب، وهو منسوبٌ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومروي عن بعض أهل المدينة، واختاره ابن رشد[1].

وبيّن السهيلي ثمرة الخلاف فقال: «وفقه هذا الخلاف أنّ من نذر صيام الأشهرِ الحُرُمِ، فيقال له على الأول ابدأ بالمحرّم ثم برجب ثم بذي القعدة وذي الحجة، وعلى القول الآخر يقال له: ابدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني»[2].

وعلّق عليه الحطّاب بقوله: «هذا لازم إن نذر أن يصومها مرتّبة، وإلّا فالظّاهر أنّه على جهة الأولى، والله أعلم»[3].

ومن ثمرات الخلاف أيضا لو قال لزوجته: أنت طالق في أوّل الأشهر الحرم، طلقت بأول ذي القعدة؛ وقيل طلقت بأوّل المحرّم[4].

المحرّم مفتتح السنة الجديدة.

يدخل علينا شهر محرّم لنفتتح به سنة جديدة، سنة نأمل أن تكون فاتحة خير للجميع، وفاتحة عهد جديد للأمة الإسلامية، ونافذة أمل لمستقبل مشرق واعد.

يدخل علينا المحرّم ونحن نرجو أن يكون خيرًا مما سبقه، وأن يعمّ فيه الخير والنعمة والرخاء والنّماء، وأن ينتشر فيه القسط والعدل والأمن والنّصر على الأعداء.

---

(1) انظر البيان والتحصيل (315/18).

(2) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (142/1).

(3) مواهب الجليل (413/2).

(4) انظر نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (17/7).

تحلّ علينا السنة الهجرية الجديدة، ونستقبلها كما استقبلنا السنوات الماضية المنقضية، وهكذا هي دورة الحياة، شهور تمضي وأعوام تنقضي وأخرى تأتي، حتى ينتهي بنا العمر عند آخر محطة، نسلّم فيها أنفسنا لبارئها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِۖ ٦﴾[1].

وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾[2].

وببداية السنة تبدأ رحلة جديدة في حياتنا، وحلقة من حلقات عمرنا، سنة نعيش فيها بأحلامنا وأمانينا وآمالنا، ونذوق حلوها ومُرَّها، ونشهد تقلباتها، ويصيبنا من خيرها وشرها، ونفعها وضرها، وصلاحِها وفسادها، كما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾[3].

ودّعنا السنة الماضية بما فيها من هموم وآلام، وأفراح ومسرات، وصعوبات وإخفاقات، ومكاسب ونجاحات، فقدنا فيها أقاربَ وأصدقاءَ وجيرانًا كانوا معنا والآن رحلوا عنّا، وهكذا هي دورة الحياة، يومٌ لك ويومٌ عليك، يومٌ تشكو فيه الآلام، ويومٌ تحقّق فيه لذيذَ الأحلام، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[4].

وإنّ اللّبيب من اعتبر بغيره، واتّعظ بمن سبقه، واغتنم ما بقي من عمره، وعمّر أيّامه بما فيه خيره وصلاحه، ولم يضيّع ساعاته في لعبه وعبثه

---

(1) سورة الانشقاق: 6.
(2) سورة النجم: 42.
(3) سورة الأنبياء: 35.
(4) سورة آل عمران: 140.

ولهوه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿39﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿40﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿41﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿42﴾ ﴾[1].

وفي الحديث عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[2].

وفي وصية لُقْمَانَ لابْنِهِ يقول: «يَا بُنَيَّ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ بَيْتَانِ: بَيْتٌ شَاهِدٌ وَبَيْتٌ غَائِبٌ، فَلا يُلْهِيَنَّكَ بَيْتُكَ الْحَاضِرُ الَّذِي فِيهِ عُمْرُكَ قَلِيلٌ، عَنْ بَيْتِكَ الْغَائِبِ الَّذِي عُمْرُكَ فِيهِ طَوِيلٌ»[3].

وصدق الشاعر حين قال[4]:

فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ ... وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ وصَرْفُكَ قَيِّمُ

وَجُدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا ... فَفِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ

وَسِرْ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا ... وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ

فَهُنَّ الْمَنَايَا أَيَّ وَادٍ نَزَلْتَهُ ... عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ

---

(1) سورة النجم: 39 ـ 42.

(2) رواه أحمد (350/28 رقم: 17123)، والترمذي (638/4 رقم: 2459) وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه (1423/2 رقم: 4260)، وأبو داود الطيالسي (445/2 رقم: 1218)، والحاكم (280/4 رقم: 7639) وصححه ووافقه الذهبي.

(3) انظر التبصرة لابن الجوزي (9/2).

(4) انظر مجموعة القصائد الزهديات (120/1).

وقال آخرُ[1]:

لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ قَدْ مَضَى لَيْتَهُ لَمْ يَكُ بِالْأَمْسِ ذَهَبْ
وَاسْعَ لِلْيَوْمِ وَدَعْ هَمَّ غَدٍ كُلُّ يَوْمٍ لَكَ فِيهِ مُضْطَرَبْ
يَهْرُبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ كُرَبَ الْمَوْتِ فَلِلْمَوْتِ كُرَبْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَاسِي مَرَّةً كُلُّ يَوْمٍ لَكَ فِيهِ مُضْطَرَبْ
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ عَجَبًا مِنْ سَهْوِكُمْ كُلَّ الْعَجَبْ

المحرّم مبدأ التأريخ الإسلامي.

إن حادثة الهجرة النبوية كانت سببًا في إحداث التغيير في منطقة الجزيرة العربية وفي العالم أجمع، كما كانت بدءًا لمرحلة جديدة قلبت الموازين، وضبطت المقاييس العلمية والمعايير الأخلاقية، وأعادت الاعتبار للمثل الإنسانية والقيم الاجتماعية، ولهذا كانت الهجرةُ جديرةً بأن تكون مبدأ التاريخ الإسلامي.

وقصة بدء التأريخ مشهورة في كتب المؤرخين، رووها عن الشَّعْبِيّ قال: «كَتَبَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ: إِنَّهُ تَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ، فَأَرِّخْ، فَاسْتَشَارَ عُمَرُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخْ لِمَبعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا، بَلْ نُؤَرِّخُ لِمُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ مُهَاجَرَهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَ: فَأَرَّخَ لِمُهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ»[2].

(1) انظر مجموعة القصائد الزهديات (249/2).

(2) انظر تاريخ الطبري (388/2)، وتاريخ دمشق (42/1)، والكامل في التاريخ ابن الأثير (12/1)، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (227/4).

كما رووا عن مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ من التابعين قال: «رُفِعَ إِلَى عُمَرَ صَكٌّ مَحِلُّهُ فِي شَعْبَانَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّ شَعْبَانَ؟ الَّذِي هُوَ آتٍ، أَوِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ضَعُوا لِلنَّاسِ شَيْئًا يَعْرِفُونَهُ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ: اكْتُبُوا عَلَى تَأْرِيخِ الرُّومِ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ مِنْ عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَهَذَا يَطُولُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اكْتُبُوا عَلَى تَأْرِيخِ الْفُرْسِ، فَقِيلَ: إِنَّ الْفُرْسَ كُلَّمَا قَامَ مَلِكٌ طَرَحَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَنْظُرُوا: كَمْ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ؟ فَوَجَدُوهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَكُتِبَ التَّأْرِيخُ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[1].

وقال محمد بن سيرين: «قَامَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: أَرِّخُوا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَّخُوا؟ قَالَ: شَيْءٌ تَفْعَلُهُ الأَعَاجِمُ، يَكْتُبُونَ فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: حَسَنٌ، فَأَرِّخُوا فَقَالُوا: مِنْ أَيِّ السِّنِينَ نَبْدَأُ؟ قَالُوا: مِنْ مَبْعَثِهِ، وَقَالُوا: مِنْ وَفَاتِهِ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الهِجْرَةِ، ثُمَّ قَالُوا: فَأَيَّ الشُّهُورِ نَبْدَأُ؟ فَقَالُوا: رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالُوا: المُحَرَّمَ، فَهُوَ مُنْصَرَفُ النَّاسِ مِنْ حَجِّهِمْ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ، فَأَجْمَعُوا عَلَى المُحَرَّمِ»[2].

وقال سعيد بن المسيب: «جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ فَقَالَ: مِنْ أَيِّ يَوْمٍ نَكْتُبُ التَّارِيخَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: مِنْ مُهَاجَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِرَاقِهِ أَرْضَ الشِّرْكِ، فَفَعَلَهُ عُمَرُ»[3].

---

(1) انظر تاريخ الطبري (389/2)، والكامل في التاريخ ابن الأثير (12/1).

(2) انظر تاريخ الطبري (389/2)، والكامل في التاريخ (13/1)، والبداية والنهاية (206/3).

(3) انظر الكامل في التاريخ (13/1).

والذي أشار على عمر رضي الله عنه ببدء التأريخ بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأشار عليه طَلْحَةُ رضي الله عنه بالتأريخ بمبعثه، والذي أشار بالمحرّم هما عثمان وعلي رضي الله عنهما، وأشار آخرون بمولده صلى الله عليه وسلم[1].

وبيّن القسطلاني سبب اختيارهم الهجرة لتكون مبتدأ التاريخ فقال: «وذكر السهيلي أن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[2]، لأنه من المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقًا، فتعيّن أنّه أضيف إلى شيء مضمر وهو أول الزّمن الذي عزّ فيه الإسلام، وعَبَدَ فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربه آمنًا، وابتدئ فيه ببناء المساجد، فوافق رأي الصحابة رضي الله عنهم ابتداء التاريخ من ذلك اليوم، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أنّه أول التاريخ الإسلامي»[3].

إنّ اختيار عمر صلى الله عليه وسلم حادثة الهجرة لتكون بداية التأريخ، له دلالات كثيرة:

ـ منها تميّز الأمة عن باقي الأمم، فهي لا تتبع أيّ أمة أخرى في عاداتها وأعرافها وتقاليدها، ولا تقلد غيرها في دينها، ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[4].

---

(1) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للقاري (66/17)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (268/7).

(2) سورة التوبة: 108.

(3) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (234/6).

(4) سورة النساء: 141.

ـ ومنها أنّ مجد هذه الأمة وعزتها في استقلالها بقراراتها، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿113﴾ ﴾[1].

ـ وأنّ المعاناة والآلام لها أمد محدود، وأن عُمْرَ الشدّة والبلاء قصير، وأنّ النصر مع الصّبر، وأن العاقبة للمتقين، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿105﴾ ﴾[2].

ـ وأنّ الصّراع بين الحق والباطل دائم ومستمر، وأنّ «صولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى قيام الساعة»، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[3].

ـ وأنّ القوّة في الاتحاد، والضّعف في التّفرّق والاختلاف، ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4].

ـ وأنّ الإسلام لا بُدَّ له من وطن يأويه، ومن جيش ينصره ويحميه، ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿26﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة هود: 113.

(2) سورة الأنبياء: 105.

(3) سورة الأنبياء: 18.

(4) سورة الأنفال: 46.

(5) سورة الأنفال: 26.

المحرّم شهر الهجرة.

يذكِّرنا شهر محرم بهجرة المصطفى ﷺ، الهجرة التي أشرقت بنورها على المدينة المنورة، ثم امتدت أنوارها لتعم أطراف المعمورة.

الهجرة النبوية الشريفة التي قلبت الموازين، وجعلت كفة الحق تَتَرَجَّحُ على كفة الباطل، وانتصر العدل والإحسان على الظلم والعدوان، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿81﴾ ﴾[1].

الهجرة التي فتحت بابا جديدا إلى الإسلام، بعد مشاق كثيرة، ومضايقات خانقة، واضطهاد شديد للمؤمنين والمؤمنات، وكانت بداية عهد جديد للدعوة الإسلامية التي ألقت بظلالها على الجزيرة العربية وما حولها، وتوسّعت وانتشرت في جميع القارّات، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿33﴾ ﴾[2].

الهجرة التي كشفت الأباطيل، وأزالت الخرافات والأوهام والظنون، وأبطلت الشبه والضلالات والأكاذيب، وأخرجت الناس من الظلمات إلى النور، ومن الباطل إلى الحق، ومن الحيرة والضلال إلى الهدى والرّشاد، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿9﴾ ﴾[3].

---

(1) سورة الإسراء: 81.

(2) سورة التوبة: 33.

(3) سورة الحديد: 9.

الهجرة التي أعلنت قيام دولة الإسلام، وزوال دولة الكفر والطغيان والفساد، وأخرجت الناس من ربقة الإذلال والاستعباد، وكسرت قيود الظلم والاستبداد، وأبطلت التمييز العنصري والعصبية الممقوتة والعناد، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿16﴾﴾[1].

إن ذكرى الهجرة النبوية تدعو المسلمين إلى الرجوع إلى منابع الإسلام الصافية، وإلى العودة إلى الفطرة الإنسانية السليمة المعتدلة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿30﴾﴾[2].

وجدير بالأمة أن تراجع نفسها في هذه الذكرى، وتأخذ منها العبرة، لتستفيق من سباتها، وتنهض من كبوتها، وتنتشل نفسها من سقطتها، وتنطلق من قيودها، وتعود من جديد لريادة العالم الذي أصبح تائها في بيداء الانحراف، وضائعا في فيافي الضلال، وبعيدا عن سنن الفطرة، وغارقا في الشذوذ والتميع والانحلال.

إن الهجرة التي أخرجت العرب من جاهليتهم، وأنقضتهم من بداوتهم، وجعلتهم سادة أبطالًا يسوسون الأمم ويقودون العالم، لقادرة اليوم أن تحوّل ضعفَنَا قوة ومنعة وعزًّا، وتخلُّفَنَا نهضة نبني بها مجدا ورقيًّا، ويتحقق فينا ما

(1) سورة المائدة: 15 ـ 16.

(2) سورة الروم: 30.

قال الصحابي ربعي بن عامر التميمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرستم قائد الفرس: «اللَّهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا، لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ»[1].

ومن جميل كلام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قوله: «ليت شعري ... وليتٌ يقولها المحزون، هل تحمل ذكرى الهجرة المتكرّرة مع كل عام، أولئك اليمانيين الراكدين وهم جمهرة أنساب قحطان، وأولئك الحجازيين الراقدين، وهم منحدَر دماء عدنان، على أن يتداعَوا إلى ما تداعى إليه أجدادهم، وأن يتآخوا على ما تآخوا عليه؟

هل يرجعون بالذّاكرة إلى بيعة العقبة وما جرت للعرب من أخوة وسيادة، وعزّة وسعادة، فيتبايعون على حماية الحوزة العربية وَالذَّبِّ عن حياض العروبة؟

هل آن لهم أن يعلموا أن هذه المذاهب التي صيّرتهم أوزاعًا في الدين والدنيا، هي السبيل المفرّقة عن سبيل الله الواحد، وهي التي نهى الله عن اتّباعها؟

هل يعلمون أن طلّاب الغاز غزاة، وأن الشركات أشراك، وأن رؤوس الأموال الأجنبية ذات قرون ناطحة، وأن الوطن الذي يعمر بمال الأجنبي ويد الأجنبي وعلم الأجنبي! محكوم عليه بالخراب، وإن تعالت في الأفق قبابه، وكُسيت بوشي السماء هضابه، وسالت بذهب الأرض شعابه؟»[2].

(1) انظر تاريخ الطبري (520/3)، والبداية والنهاية لابن كثير (46/7).

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (473/3).

المحرّم شهر الانتصارات.

إنّ محرّم شهر الانتصارات، فيه انتصر النبي ﷺ على قريش، بعد أن عزمت على قتله، ودبّرت المكيدة وأحكمت الخطة، واختارت لحظة تنفيذ الجريمة، لكنّ إرادة الله ومشيئته نافذة، وقدرته ظاهرة، ولا يكون إلا ما أراد، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿30﴾﴾[1].

خرج ﷺ من مكة مُكْرَهًا تطارده قريش من كل ناحية، ويأبى الله إلّا أن ينصر نبيّه ﷺ ويظهر دينه ويتم نوره، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾﴾[2].

وفي شهر محرم من السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وخيبر اسم جامع لحصون وقرى لليهود، وبها مزارع ونخل كثير، حاصرهم النبي ﷺ بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها حِصْنًا حِصْنًا، ونصره الله عليهم.

وفي المحرّم من سنة اثنتي عشرة للهجرة، سار خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيشه من اليمامة إلى العراق لقتال الفرس بأمر من الخليفة أبي بكر رضي الله عنه،

---

(1) سورة الأنفال: 30.

(2) سورة التوبة: 40.

ففتح الحيرة، وَقُتِلَ هرمز قائد الفرس على يد القعقاع بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسُمّيت هذه المعركة بذات السلاسل، لأن الفرس ربطوا كل مجموعة من الجنود بسلسلة حتى لا يفروا من المعركة[1].

وفي شهر محرم خرج موسى عليه السلام من مصر هاربًا بقومه من بطش فرعون وجنوده، وجاوز بقومه البحر، وأغرقَ الله فرعونَ وجنودَهُ، ليكون عبرة لغيره، وعظة لكلّ جبّار عنيد، كما قال تعالى حاكيا قصّته: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ـَٔايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾[2].

وفي اليوم الثاني من شهر محرّم سنة 1375 للهجرة النبوية، الموافق 20 أوت 1955 للميلاد، كان الهجوم على الشمال القسنطيني بقيادة الشهيد زيغوت يوسف، الذي استهدف المقرات العسكرية والمصالح الاقتصادية للمحتل الفرنسي، وكان ضربة قاضية على المستدمر وقاصمة لظهره، حتى عُدَّ هذا الهجود بمثابة نوفمبر جديد، وكان التتويج بعد سنوات قليلة بالنصر المبين، وإعلان الحرية والاستقلال بعد يومين من نهاية المحرّم، في الثاني من صفر سنة 1382 للهجرة، الموافق 05 جويلية 1962 للميلاد.

ولو تتبعنا الأحداث التاريخية والوقائع الحربية، لوجدنا الكثير من الانتصارات الخالدة التي حقّقها المسلمون في شهر محرّم.

---

(1) انظر تاريخ الطبري (343/3)، والكامل في التاريخ (234/2).

(2) سورة يونس: 90 ـ 92.

المحرّم شهر التوبة.

ينبغي على الإنسان أن يَتَلَقَّى شهر محرّم بتوبة صادقة تمحو ما سلف من الذّنوب، ويبدأ عامه بالاستغفار والنّدم على ما فات من المساوئ والعيوب، ويعقد العزم على أن لا يعود إلى الإثم.

وعن هذا يقول ابن رجب: «ويتعين افتتاح العام بتوبة نصوح، تمحو ما سلف من الذنوب السالفة في الأيام الخالية»[1].

ويشهد له حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِشَهْرٍ أَصُومُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ فَقَالَ: **إِنْ كُنْتَ صَائِمًا شَهْرًا بَعْدَ رَمَضَانَ، فَصُمِ الْمُحَرَّمَ فَإِنَّهُ شَهْرُ اللَّهِ، وَفِيهِ يَوْمٌ تَابَ فِيهِ عَلَى قَوْمٍ وَيَتُابُ فِيهِ عَلَى آخَرِينَ**»[2].

والتوبة مفروضة على كلّ من علم من نفسه ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا بإجماع المسلمين، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[3].

وقوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[4].

---

(1) لطائف المعارف (ص: 36).

(2) رواه ابن أبي شيبة (300/2 رقم: 9223)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (441/2 رقم: 1322)، والترمذي (108/3 رقم: 741) وقال: «حديث حسن غريب»، والبزار (297/2 رقم: 699)، وأبو يعلى (232/1 رقم: 267)، والبيهقي في شعب الإيمان (321/5 رقم: 3497).

(3) سورة التحريم: 8.

(4) سورة النور: 31.

وفي الحديث وعن الأَغَرّ بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1].

لا تكون التوبة صادقة وصالحة إلا إذا استقام التائب بعدها وحسن حاله وصَلُحَ سلوكه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿82﴾﴾[2].

وممّا أنشدوا في بداية العام بالتوبة قول بعضهم[3]:

قَطَعْتَ شُهُورَ الْعَامِ لَهْوًا وَغَفْلَةً ... وَلَمْ تَحْتَرِمْ فِيمَا أَتَيْتَ الْمُحَرَّمَا

فَلَا رَجَبًا وَافَيْتَ فِيهِ بِحَقِّهِ ... وَلَا صُمْتَ شَهْرَ الصَّوْمِ صَوْمًا مُتَمَّمَا

وَلَا فِي لَيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ... مَضَى كُنْتَ قَوَّامًا وَلَا كُنْتَ مُحْرِمَا

فَهَلْ لَكَ أَنْ تَمْحُو الذُّنُوبَ بِعَبْرَةٍ ... وَتَبْكِي عَلَيْهَا حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا

وَتَسْتَقْبِلَ الْعَامَ الْجَدِيدَ بِتَوْبَةٍ ... لَعَلَّكَ أَنْ تَمْحُو بِهَا مَا تَقَدَّمَا

والحذر كل الحذر من الغفلة والتسويف بالتوبة، والإصرار على المعاصي، فإنّ العمرَ قصيرٌ، والناقدَ بصير، والحسابَ عسيرٌ.

وعن خطورة التسويف وتأخير التوبة يقول أبو حامد الغزالي: «ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين:

---

(1) أخرجه أحمد (390/29 رقم: 17847)، ومسلم (2075/4 رقم: 2702)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 218 رقم: 621)، والنسائي في الكبرى (168/9 رقم: 10207).

(2) سورة طه: 82.

(3) انظر لطائف المعارف (ص: 36).

أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو.

الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو»[1].

أيّها المستقبِلُ للعام الجديد، بَادِرْ إلى المَتَابِ، واسْتَغْفِرْ ربَّك، وشمّر عن ساعد الجد والاجتهاد، فإن الله يحبّ التوابين، وابدأ المحرّم بتطهير قلبك وتزكية نفسك وإصلاح عملك، وكن كما قال القائل[2]:

يَقُولُونَ لِي ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ فَانْتَبِهْ وَشَمِّرْ فَقَدْ وَافَاكَ شَهْرٌ مُحَرَّمُ

فَقُلْتُ لَهُمْ مَالِي سِوَى أَنَّ عَادَتِي مَنَامِي عَلَى الْأَجْفَانِ فِيهِ مُحَرَّمُ

الخاتمة.

الحمد لله الذي وفق على إتمام هذا البحث، وأعان على إخراجه ونشره، وأسأله تعالى أنْ يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه واطّلع عليه؛ فما كان فيه من صواب فهو بفضل الله وحسن توفيقه، وما كان فيه من خطأ فهو من قصوري وتقصيري؛ وأقول كما قال الحريري في ملحة الإعراب:

فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ وَحَسِّنِ الظَّنَّ بِهَا وَأَحْسِنِ

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وصل اللهم وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(1) إحياء علوم الدين (12/4).

(2) انظر طبقات صلحاء اليمن (ص: 117).

فهرس المصادر والمراجع

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، لمحمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (ت1385هـ)، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1997م.
- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي (ت543هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، 1424هـ ـ 2003م.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، طبع دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (ت923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: 7، 1323هـ.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1407هـ ـ 1986م.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد المالكي (ت520هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ ـ 1984م.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت310هـ)، ومعه صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، دار التراث، بيروت، ط: 2، 1387هـ.
- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ ـ 1995م.

- التبصرة، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406هـ ـ 1986م.
- تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت427هـ)، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ - 2002م.
- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت310هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1420هـ ـ 2000م.
- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ ـ 1983م.
- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للشباب، مصر، ط: 3، 1987م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت581هـ)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1421هـ ـ 2000م.
- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ.
- سنن ابن ماجة للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة (ت275هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، الجزءان الأول والثاني بتحقيق أحمد محمد شاكر، والجزء الثالث بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، والجزءان الرابع والخامس بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- السنن الصغرى المسماة بالمجتبى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي النسائي (ت303هـ) ومعه شرح جلال الدين السيوطي (ت911هـ) وحاشية السندي، دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ.
- السيرة النبوية لابن هشام، لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ)، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2، 1375هـ ـ 1955م
- شعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ط: 1، 1415هـ.
- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الصفا، القاهرة، ط: 1، 1422هـ ـ 2003م.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ ـ 1992م.
- طبقات صلحاء اليمن، المعروف بتاريخ البريهي، لعبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني (ت904هـ)، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، بدون تاريخ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت852هـ)، رقّم كتبه وأبوابه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بدون تاريخ.
- الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد غنيم النفراوي المالكي (ت1120هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ط: 3، 1374هـ ـ 1955م.

- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1417هـ ـ 1997م.
- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت294هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل آباد، باكستان، ط: 1، 1408هـ ـ 1988م
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، بدون تاريخ.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت795هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1424هـ ـ 2004م.
- مجموعة القصائد الزهديات، لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت1422هـ)، مطابع الخالد للأوفسيت، الرياض، ط: 1، 1409هـ.
- المجموع، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت676هـ)، تحقيق وإكمال محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، المملكة العربية السعودية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الشهير بأبي داود الطيالسي (ت204هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط: 1، 1419هـ ـ 1999م.
- مسند أبي يعلى، للحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت307هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: 1، 1404هـ ـ 1984م.

❋ مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، وبإشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ ـ 2001م.

❋ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.ط)، مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن بالهند 1411هـ ـ 1990م.

❋ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، من 1988م إلى 2009م.

❋ المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت235هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر بيروت، ط: 1، 1409هـ ـ 1989م.

❋ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1412هـ ـ 1992م.

❋ مواهب الجليل شرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب (ت954هـ)، وبهامشه التاج والإكليل لمختصر خليل للإمام المواق (ت898هـ)، دار الفكر بيروت، ط: 2، 1398هـ ـ 1979م.

❋ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت1004هـ)، دار الفكر، بيروت، ط أخيرة، 1404هـ ـ 1984م.

فهرس الموضوعات

تمهيد 4

فضل المحرّم 7

المحرّم من الأشهر الحُرُمِ 10

المحرّم أول الأشهر الحرم 12

المحرّم مفتتح السنة الجديدة 13

المحرّم مبدأ التأريخ الإسلامي 16

المحرّم شهر الهجرة 20

المحرّم شهر الانتصارات 23

المحرّم شهر التوبة 25

الخاتمة 27

فهرس المصادر والمراجع 28

فهرس الموضوعات 33